

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

١٢

سعد

بن معاذ

نايس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١٢

سعد بن معاذ

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سعيدية (البحرية) القاهرة
٢ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

سعد بن معاذ

دُقَّ جرسُ الشُّقَّةِ ، فجرى أحمدُ لِيَفْتَحَ البابَ
وصاح: إِنَّه العَمُّ عبده يا أُمِّي ، وقد أحضرَ الخُضَرَ
والفاكِهَةَ من السُّوقِ .

ونظرَ أحمدُ إلى ما في السِّلَّةِ الَّتِي أحضرَها العَمُّ
عبده ، فغَضِبَ وقال :

- ما هذا يا عَمُّ عبده ، كيف تُحْضِرُ لنا مَوْزًا من
إِنْتاجِ المَزَارِعِ الْيَهُودِيَّةِ ؟

تعجَّب العَمُّ عبده وقال : أَيْ مَزَارِعَ يَهُودِيَّةٍ يا
بُنَيَّ ؟ كَفَى اللَّهُ الشَّرَّ ، لقد أحضرْتُهُ من العَمِّ
سُلَيْمَانَ الْفَكْهَانِيَّ بِأَوَّلِ الشَّارِعِ .

قالَ أحمدُ : وَلَكِنْ مَصْدَرُهُ يَهُودِيٌّ .
وبعدَ تَنَاوُلِ الْعِشَاءِ ، قَدَّمتْ أُمُّ أَحْمَدَ الْفَاكِهَةَ ،
فَقَالَ أَحْمَدُ :

- أَنَا لَنْ أَكُلَ مِنْ هَذَا الْمَوْزِ .

سَأَلَ أَبُوهُ : وَلِمَاذَا يَا أَحْمَدُ ؟ فَأَنْتَ تُحِبُّ أَكْلَ
الْمُوزِ ؟

قَالَ أَحْمَدُ : أَلَا تَرَى يَا أَبَى الْمَكْتُوبَ عَلَى الْعَلَامَةِ ؟
إِنَّ هَذَا الْمُوزَ يَهُودِيٌّ الْمَصْدَرُ . وَقَدْ قَالَ لَنَا الْمُدْرِّسُ أَلَّا
نُحَالِفَ الْيَهُودَ ، وَلَا نَأْمَنَ لَهُمْ ، فَالْعَدْرُ مِنْ طِبَاعِهِمْ .
قَالَ أَبُوهُ : صَدَقْتَ يَا أَحْمَدُ ، فَقَدْ دَابَّ الْيَهُودُ
دَائِمًا عَلَى مُضَايِقَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَدْرِ بِهِمْ . وَإِنَّ
مَوَاقِفَهُمُ الْغَادِرَةَ لَا حَصَرَ لَهَا ، وَمِنْهَا عِنْدَمَا ذَهَبَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ ، يَلْتَمِسُ
النَّصَرَ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْدَ أَنْ كَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ وَآذَتْهُ ، فَلَمْ
تَكُنْ حَالُ ثَقِيفٍ بِأَفْضَلَ مِنْ حَالِ قُرَيْشٍ ، فَقَدْ كَذَّبُوهُ
وَسَفَّهُوهُ وَآذَوْهُ ، وَأَمَرُوا عَبِيدَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ أَنْ يُلْقُوا
عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى شَجَّوْا رَأْسَهُ ، وَأَصَابُوهُ إصاباتٍ
شَدِيدَةٍ .

قَالَتْ أُمُّهُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا أَحْمَدُ ، فَقَدْ طُبِعَ

اليهودُ على الشرِّ ، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما اجتمع مُسْلِمٌ وَيَهُودِيٌّ في مكانٍ ، إلَّا وهمَّ اليهوديُّ بقتل المُسْلِمِ .

وأكمل أبوه : نعم ، وقد وصلَ بهم الغدرُ أن همَّوا بقتل النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قال أحمد : أحدثَ ذلكَ حقًّا يا أباي ؟

قال أبوه : نعم يا أحمد ، فعندما ذهبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مرَّةً إلى بني النضير ليطلبَ منهم المَعُونَةَ ، استنَادًا إلى العهدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ في أيامِهِ الْأُولَى بِالْمَدِينَةِ ، أوعِزَّتْ إليهم نُفُوسُهُمُ الْغَادِرَةُ أن يَقْتُلُوهُ ، بأن يُلْقُوا عَلَيْهِ حَجَرًا كَبِيرًا من فوقِ بَيْتٍ كان يَجْلِسُ إلى جِوَارِهِ ، لولا أن أوحى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى إلى نبيِّهِ بما ينويه اليهود ، فغادرَ مجلسَهُ .

وقالت أمُّهُ : وخَيْرُ أيضًا ، ألم تَضَعْ لَهُ السُّمَّ في لحمِ الشاةِ ؟

قال أبوه : وفي غزوة الأحزاب أكبر دليل على
غدرهم ونقضهم العهود .

سأل أحمد : وماذا فعل اليهود في غزوة الأحزاب
يا أباي ؟ ألم تكن غزوة الأحزاب بين قريش وبين
المسلمين ؟

قال أبوه : أو عز بعض سادة اليهود إلى قريش ،
أن يخرجوا لقتال محمد ، ووعدوهم أن يعاونوهم
في قتاله ، كما انضم إليهم يهود بني قريظة ، جيران
النبي في المدينة ، وفتحوا أبواب المدينة أمام المغيرين
المعتدين . ولكن النصر جاء من عند الله ، فهبت
الرياح شديدة اقتلعت الخيام ، وكفأت أي قلبت
القدور ، فانصرف الأحزاب عن المدينة مهزومين .

سأل أحمد : وماذا فعل الرسول صلى الله عليه
وسلم ببني قريظة ؟

قال أبوه : أوكل النبي صلى الله عليه وسلم

الحُكْمَ فِي أَمْرِهِمْ ، إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بِنَاءً عَلَى
اخْتِيَارِهِمْ إِيَّاهُ ، حَيْثُ كَانَ حَلِيفَهُمْ قَبْلَ إِسْلَامِهِ .

سَأَلَ أَحْمَدُ : وَمَنْ يَكُونُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَا أَبَى ؟

قَالَ أَبُوهُ : سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ هُوَ سَيِّدُ بَنِي الْأَشْهَلِ ،
أَعْظَمُ بَطُونِ الْأَوْسِ وَإِمَامُ الْأَنْصَارِ ، أَنْشَأَهُ أَبُوهُ عَلَى
الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَصِيَّةِ وَالْخُلُقِ الْحَمِيدِ ، أَسْلَمَ
عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، أَوَّلِ سَفِيرِ لِلْإِسْلَامِ فِي
الْمَدِينَةِ ، فَقَدْ سَمِعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِالْوَافِدِ الْقَادِمِ مِنْ
الْمَدِينَةِ - مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ - يَدْعُو إِلَى دِينِ جَدِيدٍ ،
وَنَبَذَ عُبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَبَصِفَتَهُ سَيِّدِ الْأَوْسِ ، ذَهَبَ
سَعْدُ وَصَدِيقُهُ "أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ" إِلَى بَيْتِ أَسْعَدَ بْنِ
زُرَّارَةَ - بَنِ خَالَةِ سَعْدٍ - حَيْثُ يَنْزِلُ مُصْعَبُ .

ذَهَبَ وَفِي نَيْتِهِ أَنْ يَدْفَعَ هَذَا الْغَرِيبَ خَارِجَ
حُدُودِ الْمَدِينَةِ .

وَلَكِنْ سَرَتْ كَلِمَاتُ مُصْعَبٍ فِي نَفْسِ سَعْدٍ
سَرَيَانِ السَّحَرِ ، فَأَذَابَتِ الْعَصِيَّةَ الْقَبْلِيَّةَ ، وَأَلَانَتْ

الحجر ، وأعلن سعد بن معاذ إسلامه وسط دَهْشَةٍ جميع الحاضرين . ونادى فى قومه مُعلِنًا عن إسلامه ، فلم تَمُضْ أَيَّامٌ على إسلامِ سعدِ بنِ مُعَاذٍ ، إلَّا ولم يَبْقَ بَيْتٌ من بُيُوتِ الأَوْسِ ، إلَّا وفيه مُؤْمِنٌ أو مُؤْمِنَةٌ يُوحِّدُ اللَّهَ ..

وعندما هاجرَ الرُّسُولُ إلى المَدِينَةِ ، كانتُ بُيُوتُ بنى الأشْهَلِ قَبِيلَةِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ ، مُفْتَحَةً الأبوابِ للمُهَاجِرِينَ ، وكانت أَمْوَالُهُمْ كُلُّهَا تحتَ تَصَرُّفِهِمْ . وهنا قالتِ الأُمُّ : لا تَنْسَ أنْ تَقْصَّ على أَحْمَدَ مَوْقِفَ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ يومَ غَزْوَةِ بَدْرَ ، فَقَدْ أَظْهَرَ إِيمَانًا وولاءً لا مَثِيلَ لهما .

قال أبوه : أَنْتَ تَعْلَمُ بالطَّبْعِ يا أَحْمَدُ ، ما حَدَثَ فى غَزْوَةِ بَدْرَ ، والْعِيرَ الَّتِى هَرَبَ بِهَا أَبُو سُفْيَانَ ، وخُرُوجَ قُرَيْشٍ لِحَرْبِ المُسْلِمِينَ .

قال أحمد : نعم يا أبا ، وأعلمُ كذلك أنَّ النَّبيَّ لم
يُرد أن يخرجَ لِقِتالِهِم ، قبل أن يَسْتَشِيرَ أَصْحَابَهُ .
قال أبوه : وكان المهاجرون على أهبة الاستعداد
للخروج ، ولكنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نظرَ
إلى الأنصارِ وقال : أشيروا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ .
فنهضَ سعدُ بنُ مُعَاذٍ وقال : يا رَسُولَ اللَّهِ لقد
آمنا بك وصدَّقناك ، وشهدنا أنَّ ما جئتَ به هو
الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهدَنا ومواثيقنا ، فامضِ
يا رَسُولَ اللَّهِ لما أَرَدْتَ فنحنُ معك . ووالَّذي بعثَكَ
بالحقِّ لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخَضْتَهُ ، لَخُضْنَاهُ
مَعَكَ ، ما تَخَلَّفَ مِنَّا رجلٌ واحدٌ ، فسيرَ بنا على
بَرَكةِ اللَّهِ .

وعندَ بدءِ المعركة ، أشارَ سعدُ بنُ مُعَاذٍ على
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أن يُنْزِلَ لَهُ عَرِيشٌ

فِي مَكَانٍ مُّرْتَفِعٍ ، لِيُدِيرَ مِنْهُ الْمَعْرَكَةَ . وَوَقَفَ عَلَى
بَابِ الْعَرِيشِ سَعْدٌ وَأَبُو بَكْرٍ وَصَفْوَةُ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، لِيَحْمُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَتِ الْأُمُّ : وَفِي يَوْمٍ أُحُدٍ ، أَلَمْ يَكُنْ دَائِمًا إِلَى
جَانِبِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُدَافِعُ عَنْهُ
وَيَحْمِيهِ فِي اسْتِبْسَالٍ وَشَجَاعَةٍ ؟

قَالَ الْأَبُ : وَكَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ ، عِنْدَمَا
حَاصَرَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ الْمَدِينَةَ بِجَيْشٍ عَرْمَرَمٍ ،
يُرِيدَانِ الْفَتْكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، فَبَعَثَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَيِّدَ الْأَوْسِ ، وَسَعْدَ بْنَ
عَبَادَةَ سَيِّدَ الْخَزَرَجِ ، إِلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَتَبَيَّنُوا
مَوْقِفَهُمْ مِنَ الْغَزْوِ ، فَكَانَ رَدُّهُمْ بِكُلِّ خُبْرٍ وَمَكْرٍ
وَدَهَاءٍ : لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ عَقْدٌ وَلَا عَهْدٌ .

قَالَ أَحْمَدُ : وَهَكَذَا تَخَلَّوْا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَشَدِّ

المواقف وأصعبها .

قال الأب : وعزَّ على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما تتعرض له المدينة من خطر ، فعرض على بنى غطفان الانسحاب من المعركة ، مقابل نصف ثمار المدينة ، وشاور النبي سعد بن معاذ وسعد بن عباد السَّيِّدَيْن ، فهما زعيما المدينة ، وصاحبا الحق في هذا الأمر .

وعندما علم سعد بن معاذ أن ذلك العرض ليس بوحي من الله سبحانه ولكنه اجتهاذ من النبي صلى الله عليه وسلم ، خوفا على المدينة ، قال : يا رسول الله ، قد كنَّا نحن وهؤلاء على الشرك وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا من مدينتنا تمرا ، إلا كرمًا أو ضيافة أو بيعا . أو بعد أن هدانا الله للإسلام نعطهم أموالنا ؟

وَاللّٰهُ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ .

وَيَأْخُذُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْيِ سَعْدِ بْنِ
مُعَاذٍ ، وَتَكُونُ الْحَرْبُ . وَيَبْدَأُ حِصَارُ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ
سَعْدٌ يَرْتَدِي دِرْعًا قَصِيرًا يَبْرُزُ مِنْهُ ذِرَاعُهُ ، وَتَدَوُّرُ
الْمُنَاوَشَاتِ حَوْلَ الْخَنْدَقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ .
وَيَتَرَأَّشِقُ الْفَرِيقَانِ بِالنَّبَالِ ، وَيُصِيبُ سَهْمٌ ذِرَاعَ سَعْدٍ
فَيَقْطَعُ شُرْيَانَهَا فَيَنْفَجِرُ مِنْهُ الدَّمُ ، فَيَأْمُرُ النَّبِيُّ صَلَّى
اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْ يُحْمَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيَكُونَ قَرِيبًا
مِنْهُ فِي أَثْنَاءِ تَمْرِئِضِهِ ، وَيَظْهَرُ حُبُّ سَعْدٍ لِلْجِهَادِ ،
وَلِنُصْرَةِ دِينِ اللّٰهِ فَيَقُولُ : اللّٰهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ
حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا ، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ
أَنْ أَجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ
وَأَخْرَجُوهُ ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْ مَا أَصَابَنِي الْيَوْمَ طَرِيقًا إِلَى الشَّهَادَةِ ،
وَلَا تُمِتَّنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ .

قَالَ أَحْمَدُ : أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةُ يَا أَبَى كَانَ يَكْرَهُ يَهُودَ
بَنِي قُرَيْظَةَ ؟

قَالَ أَبُوهُ : نَعَمْ يَا وَلَدِي ، فَقَدْ خَانُوا الْمُسْلِمِينَ ،
وَتَخَلَّوْا عَنْهُمْ فِي أَصْعَبِ الْمَوَاقِفِ وَأَشَدِّهَا خُطُورَةً
عَلَى الْإِسْلَامِ .

قَالَ أَحْمَدُ : وَهَلْ كَانَتْ إِصَابَتُهُ سَبَبًا فِي مَوْتِهِ
يَا أَبَى ؟

قَالَ أَبُوهُ : مَاتَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُتَأَثِّرًا بِجِرَاحِهِ ، بَعْدَ
شَهْرٍ مِنَ الْآلَامِ وَالْمُعَانَاةِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ - كَمَا سَبَقَ أَنْ
قُلْنَا - حَكَمًا عَلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ مَوْتِهِ .

سَأَلَ أَحْمَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ يَا أَبَى ؟

قَالَ أَبُوهُ : عِنْدَمَا هَبَّتِ الرِّيحُ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ،

أَجَلَتْ قُرَيْشًا وَالْمُغِيرِينَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، نَادَى النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ وَقَالَ : (لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ
الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ) . وَحَاصَرَ الْمُسْلِمُونَ بَنِي
قُرَيْظَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى تَعْبُوا مِنَ الْحِصَارِ ،
وَقَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ قِي قُلُوبِهِمْ فَاسْتَسَلَمُوا ، وَرَجَوْا
أَنْ يُحَكَّمَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، سَعَدَ
بَنَ مُعَاذٍ ، وَكَانَ حَلِيفَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَأَرْسَلَ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدَ ، وَجِئَ بِهِ
وَقَدْ أَعْيَتْهُ إِبْصَابَتُهُ وَأَنْهَكَتُهُ ، فَشَفَى غَلِيلَهُ مِنَ الْيَهُودِ
فَقَالَ : أَرَى أَنَّ يُقْتَلَ مُقَاتِلُوهُمْ ، وَتُسَبَّى ذُرَارِيُّهُمْ
وَتُقَسَّمْ أَمْوَالُهُمْ .

وَعَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حُكْمِهِ ،
فَقَالَ : قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ .

وَيَزُورُهُ النَّبِيُّ فِي لَحَظَاتِهِ الْأَخِيرَةِ ، فَيَدْعُو لَهُ
وَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنَّ سَعِدًا قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ ،
وَصَدَّقَ رَسُولَكَ ، وَقَضَى الَّذِي قَضَيْتَ عَلَيْهِ ، فَتَقَبَّلْ
رُوحَهُ بِخَيْرٍ مَا تَقَبَّلْتَ رُوحَ) .

وَلَقِيَ الْفَتَى رَبَّهُ مُتَهَلِّلًا مُسْتَبَشِّرًا ، لَاحِقًا بِمَنْ
سَبَقُوهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ ، فَلَيْسَ يُقَاسُ عُمرُ الْمَرْءِ
بَعْدَ السَّنَوَاتِ الَّتِي قَضَاهَا فِي الْحَيَاةِ ، وَلَكِنْ بِمَا
قَدَّمَهُ فِي خِلَالِ تِلْكَ السَّنَوَاتِ .

قَالَ أَحْمَدُ : كَمْ كَانَ عُمرُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عِنْدَمَا
مَاتَ يَا أَبَى ؟

قَالَ أَبُوهُ : كَانَ فِي السَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمرِهِ ،
وَقَدْ أَمْضَى مِنْهَا فِي الْإِسْلَامِ سِتَّ سَنَوَاتٍ فَقَطْ ،
وَلَكِنَّهُ أَنْجَزَ خِلَالَهَا الْكَثِيرَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْأَنْصَارِ
بِمَنْزِلَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ .

وعندَ مَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، يَأْتِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَيُحَدِّثُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ
الشَّخْصِ الَّذِي مَاتَ ، فَيَقُولُ : لَقَدْ اهْتَزَّ عَرْشُ
الرَّحْمَنِ بِمَوْتِهِ .